

وَيَبْقَى الْكِبَارُ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي؛ وَإِنْ حَصَلَ مَا حَصَلَ مِنَ الْاِتِّبَاعِ!

الشيخ/ عبد الكريم الخضير

الإمام أحمد -رحمه الله- يقول: ما نقول لفظي بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق، ما نقول هذا، هل معنى هذا أنه توقفت في أفعال العباد أنها مخلوقة لله -جل وعلا-؟! لا؛ إنما هو حَسَمٌ للمادة، وسَدٌّ للباب، واحتياط للاعتقاد الصحيح؛ لأنك إذا قلت لفظي بالقرآن مخلوق، واللفظ مُحْتَمَلٌ، قد يَسْمَعُهَا شخص فيلقبها على إطلاقها؛ لكنَّ البخاري صرَّح بأنَّ لفظي بالقرآن مخلوق باعتبار أنه كلامي، والإمام أحمد -رحمه الله- سدَّ الباب باعتبار أنه يحتمل أنَّ اللفظ الذي هو صوت القاري، ويحتمل أنه المَلْفُوظُ المقروء، المتلوّ، وهو كلامُ الله -جل وعلا-، وما دام الاحتمال قائماً يسدَّ الباب كغيرها من الألفاظ المُجْمَلَةُ التي تحتاج إلى بيان، والتلفُّظ لا يحتمل المَلْفُوظُ

فالفَظُّ يصلح مصدرًا هو فَعَلْنَا	كَتَلَفُظٌ	بتلاوة	القرآن
وكذلك يصلح نفس لفظ مَلْفُوظٍ به	وهو	القرآن	فذاك مُحْتَمَلان
فذاكَ أنكر أحمد الإِطْلَاقَ في	نفي	وإثباتٍ	بلا فُرْقَانٍ

مسألة اللفظ التي امتحن من أجلها الإمام البخاري لما دخل نيسابور، واستقبله أهلها بقضيم وقضيضهم، وغار منه بعض أهل الحديث الذين كانت لهم حظوة عند قومهم! لاشك أن مثل هذا يُثير العيرة في نفوس بعض الناس، وهو في نفوس الأتباع أشد، يعني قد تجد الإمام الكبير يأتي عالم، ويجتمع الناس حوله، ويترك هذا العالم برهة حتى ينصرف هذا الطائر، ولا يُؤثِّر في نفسه بقدر ما يُؤثِّر في نفوس الأتباع! وجل هذه الأمور والتحرُّشات والمشاكل التي حصلت، إنما هي من الأتباع! يعني في قصة الإفك على سبيل المثال زينب بنت جحش هل دخلت في الإفك؟! وهي التي تسامي عائشة، ما دخلت وإنما دخلت أختها حمنة انتصاراً لها! فالإشكال أكثر مما يأتي من الأتباع، وتجد الخلاف في القديم والحديث، الرؤوس الكبار هذولا ما بينهم إشكال! لاسيما في المسائل التي لا يُضلل القارئ بها، ما بينهم مشكلة؛ لكن هؤلاء الأتباع يغازون على شيخهم، ويرون أنه عُمر، ويخشى أن يُسحب البساط من تحته كما يقولون! ثم يغازون عليه ويأخذون في الكلام الذي يُثير ما في كوامن النفوس، فلذلك الذهلي وهو إمام أهل نيسابور، إمام عالم جليل، من كبار المُحدِّثين، إمام من أئمة المسلمين، لما البخاري قال لفظي بالقرآن مخلوق، والإمام الذهلي -رحمه الله- يحتاط لهذه المسألة مثل ما يحتاط الإمام أحمد فصار بينهما من العداوة ما صار، والأتباع أيضاً استغلوا مثل هذا الخلاف وهذا الظرف الذي سحب الأنظار عن شيخهم، فحصل ما حصل، وامتحن البخاري، وطرد من نيسابور، على كل حال مثل هذه الأمور تحصل قديماً وحديثاً؛ لكن الراسخ يرجع إلى ما في الكتاب والسنة، ويجعل قائده وسائقه النص، ولا ينظر إلى الأتباع؛ لأن الأتباع يأتون، وما زالوا يأتون إلى الشيوخ قال فلان، وفعل فلان، ترك فلان! ويغرونهم ويأثرون عليهم، ويبقى الكبار كالجبال الرواسي، وإن حصل ما حصل من الأتباع،

فذاكَ أنكر أحمد إِطْلَاقَ في	نفي	وإثباتٍ	بلا فُرْقَانٍ
------------------------------	-----	---------	---------------